مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث

د. حماد حسن ابو شاويش
كلية التربية/ قسم اللغة العربية
جامعة التحدي

مقدمة:

شهدت السنوات الأخيرة ثورة منهجية حقيقية لم تقتصر على النقد الأدبي، وإنما بدأت بالذات في علم اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة ثم انتهت إلى الدراسات الادبية بمناهجها المختلفة، وقد صحب تلك الثورة المنهجية طفرة في عالم المصطلحات. وقد أحرزت مختلف فروع المعرفة والعلوم المذكورة - فيما عدا النقد الأدبي عندنا- تقدما محلوظاً في تطوير وسائل التعبير لديها، وفي ضبط وتحديد مفهوم المصطلحات التي تستخدمها، وقد كان ذلك كسباً ميّز تلك الفروع ووضح حدودها، واقترب بها خطوات واسعة من الموضوعية المنشودة، بينما ظل النقد الأدبي عندنا يتعامل في عمومه بلغة فضفاضة، ويتجلي ذلك في استعمال المصطلحات الغائمة والكلمات المترجمة استعمالا عشوائياً غير محدّد، وكذلك في ترجمة المصطلحات النقدية أو اللغوية بلغة معماه تغلب عليها العجمة والتراكيب اللغوية الغربية بشكل يجعلها أكثر صعوبة فيعز فهمها على القارئ المختص الذي يأمل لو تمكن منها بلغتها الاصابة. كما نلاحظ عددا من النقاد والباحثين باختلاف مناهجهم ومدارسهم يجتهدون في وضع مصطلحات خاصة، فيحالفهم التوفيق حيناً ويقعون في التعسف والاضطراب والاخفاق أحياناً أخرى، وهذا الاضطراب يقلل من أهمية كثير من الدراسات كما يقلل من إمكانية الإفادة منها أيضاً. إن ذلك يؤكد أن النقد الأدبي عندنا لم ينجح في الاتفاق على قدر مهم من المصطلحات النقدية، أو بمعنى آخر لم يوفق بعد في تطوير أدواته التعبيرية وفي تحديد لغة خاصة به، وهل يمكن أن يقوم منهج لأي فرع من فروع المعرفة المتطورة دون لغة واضحة أو مصطلحات محددة المفاهيم، بحيث يكتسب نوعاً من التميز

والاحترام؟[1]

إن النظرة إلى كتب النقد والدراسات الحديثة والعديد من الابحاث الجامعية الجديدة تكشف لنا أن المادة العلمية والمصطلحات متداخلة في تلك الدراسات بصورة واضحة. وكنا نتوقع أن تستفيد الدراسات اللاحقة من الدراسات السابقة عن طريق تثبيت معنى المصطلحات المستخدمة سابقاً باستخدامها المدلول نفسه أو حتى مناقشتها، ولكن يبدو أن كل ناقد أو دارس يعمل في جهة وكأن كلا منهم يعمل في جزيرة معزولة.

ولعل الباعث على تناول هذا الموضوع، ما نلاحظه من اضطراب في وضع المصطلح النقدي واستخدامه، وبروز ذلك ظاهرة من ظواهر أزمة النقد الأدبي الحديث، وكذلك تأكيد الإحساس بخطورة هذه المشكلة من خلال عرض جانب من أسبابها وظواهرها المختلفة.

وسنتناول هذا الموضوع وفق خطة محددة نناقش من خلالها: مفهوم المصطلح النقدى ونشأته وتطوره في القديم والحديث، ثم مناقشة أسباب، أو عوامل وجود مشكلة المصطلح وبعض ظواهرها الدالة عليها في العصر الحديث، وذلك بالالتفات إلى مجموعة غير قليلة من المصطلحات التي وضعت أو استخدمت استخداما لايخلو من الاضطراب أو الاختلاف. ونختم هذه الدراسة بعرض بعض المقترحات أو التوصيات التي من شأنها التنبيه إلى خطورة المشكلة وطريقة حلها.

أولاً: مفهوم المصطلح النقدي ونشأته وتطوره:

المصطلح في اللغة مأخوذ من أصل المادة (صلح). قال الزمخشري: (صلح فلان بعد الفساد، صالح العدو ووضع بينهما الصلح وصالحه على كذا وتصالحا عليه واصطلحا)[2].

أما الدلالة الاصطلاحية فهي لفظ وافق عليه جماعة من العلماء للدلالة على مفهوم محدد، فإن كان الاتفاق بين الفقهاء في مسألة معينة للدلالة على مفهوم في الفقه فهو مصطلح فقهي، وإن تم بين المحدثين فهو مصطلح في الحديث، وإن كان

---

1 مقالات نقدية. د. محمود الربيعي ص49.

2 أساس البلاغة الزمخشري ص359.

بين النحاة فهو مصطلح نحوي، وإن كان بين النقاد فهو مصطلح نقدي وهكذا.[1]

ومن المعروف أن الاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية او الأصلية، كما أن المصطلحات لاتوضع ارتجالا، ولابد في وضع المصطلح من وجود حاجة لاستخدامه، ولايزال النقد الادبي -من قديم وحتى اليوم- (يستمد مصطلحاته من مختلف ميادين الحياة والمعرفة من علم أو فن أو فكر وفلسفة، مستعينا بكل شئ يخدمه في الحكم والتوضيح والتحليل، وفي كل عصر تصبح المصطلحات السائدة شاهداً على المصدر الرئيسي الذي يتغذي منه النقد)[2].

إن نشاة المصطلح النقدي مرتبطة ارتباطاً كبيراً بنشأة النقد الأدبي، وقد أصبح النقد الأدبي عند العرب نقداً منهجياً منظماً معبراً عن نظرة إلى الأدب تبدأ بالتذوق الذي يعبر منه الناقد إلى التفسير والتحليل والتقييم -منذ نهاية القرن الثاني الهجري الذي توافرت فيه عوامل كثيرة اسهمت في تحقيق المنهجية للنقد منها: الإحساس بالتغير والتطور في الذوق العام وفي طبيعة الفن الأدبي وفي المقاييس الاخلاقية أو في العادات والتقاليد والقيم العامة، وكذلك تعدد المنابع الثقافية وتباين مستوياتها، وكل هذا وغيره أسهم أيضاً في تحديد دور واضح للناقد، وأظهر الحاجة الحقيقية إلى المصطلح النقدي المناسب.[3]

والحقيقة أن المصطلح النقدى تطور واتسع خلال العصور وبدأ أول ما بدأ مرتبطاً بالبداوة، وقد استمد العرب منها كثيراً من المصطلحات. فمصطلح (عمود الشعر) وثيق الصلة ببيت الشعر، ومصطلح (الفحولة) ووصف الألفاظ بأنها ألفاظ وحشية نافرة صعبة القياد، ووصف المعاني بالجزالة مستمدة من طبيعة حيوان الصحراء، وبخاصة الإبل[4]. كما أن وصف الأبيات بالغراء والمحجلة في كتاب (قواعد الشعر) لثعلب وظهور مصطلحي التسويم والتحجيل عند حازم القرطاجني بعد قرون مستمد من الخيل[5] . وقد كان لتطور الحياة الفكرية وبخاصة تنوع التيارات الثقافية وكذلك الأزدهار الحضاري المادي في العصر العباسي أثره في تنوع

---

1 قراءة جديدة لتراثنا النقدي، د. عزالدين اسماعيل، وآخرون 230/1.

2 فن الشعر د. إحسان عباس ص11.

3 تاريخ النقد الأدبي عند العرب. د. إحسان عباس ص14-15.

4 المرجع نفسه ص28 وانظر عيار الشعر لابن طباطبا ص7. وفحولة الشعراء، للاصمعي ص11 (الموازنة للأمدي 4/1).

5 تاريخ النقد الأدبي عند العرب. د. إحسان عباس ص28.

مصادر المصطلح النقدي، فنجد لدى ابن المعتز في كتاب (البديع) أثاراً واضحة للاعتزال في طبيعة التعبير وفي المصطلح النقدي على السواء، كما نجد لدى قدامة بن جعفر في (نقد الشعر) أثاراً واسعة للمنطق والبلاغة اليونانيتين في نظرته إلى النقد الذي حوله إلى منطقية ذهنية وقواعد مدرسية تحتاج إلى مصطلح يناسبها.

ومن ملامح الإزدهار الحضاري التأنق في الملبس والزينة وما تبعه من تطور في صناعة الصباغة والحياكة وغيرها من الصنائع. ومن هذا الباب وجدت بعض المصطلحات طريقها إلى الشعر والنقد مثل النسج والصبغ والتفويف والتسهيم والترصيع والتطريز والتوشيع والسلاسة وأشباه ذلك.[1]

إن من ينظر في مسيرة تطور المصطلح من نهاية القرن الثاني، وحتى نهاية القرن السابع يلاحظ أن ذلك التطور قد خدم النقد الأدبي ولكنه مع ذلك خدم مجال البلاغة أكثر مما خدم النقد الأدبي وبخاصة في القرون المتأخرة من الفترة التي أشرنا إليها.

ويلاحظ الدارس للأدب والنقد في الفترة التي أعقبت القرن السابع أن الابتكار في المصطلح النقدي قد انحسر انحساراً واضحاً ولم يعد هناك مجال للتوسع في دلالته، ولعل ذلك مرتبط بماساد الادب من ضعف وماساد الحياة الفكرية والثقافية والحضارية من ركود وانحدار، وقد استمرت هذه الحال على ماهي عليه إلى العصر الحديث عصر النهضة الأدبية والفكرية.[2]

وفي الحق إن الوطن العربي -ابتداء من نهاية الحكم العثماني أو من الحملة الفرنسية على مصر والشام وحتى اليوم -شهد بالتدريج تحولات واسعة في جميع مجالات الحياة الأدبية والعلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية. وعلى مستوى الأدب والنقد يلحظ الدارس أن هناك تطوراً كبيراً قد تحقق في العصر الحديث (وهو عصر تعددت فيه المناهج ووضحت فيه بشكل أفضل اتجاهات النقد، واتسعت آفاقه وتحددت فيه مقاييس نقدية لم تعرف من قبل. فمنذ أن نشطت حركة الاتصال بين العالم العربي والغرب الأوروبي عن طريق البعثات العلمية

---

1 انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر ص85 ومابعدها.

2 لم أشأ التوسع في الحديث عن تطور المصطلح النقدي في القديم، ولذلك اكتفيت بما ذكرته تمهيداً لما سنذكره من ملامح مشكلة المصطلح في العصر الحديث، وهو الموضوع الأساسي الذي يتناوله هذا البحث.

والترجمة وغيرها، إزداد الاطلاع على معالم الثقافة الغربية وعلى التطور الذي شهدته ميادين الادب والفن والنقد والعلم)[1] وعندئذ نمت في وسط المثقفين والنقاد العرب رغبة صادقة في النظر إلى التراث الأدبي والنقدي نظرة جديدة تقوم على تجديد فهمنا لهذا التراث ومحاولة الاستعانة في ذلك بالمناهج الحديثة والأساليب المتطورة، ولذا وجد من المحدثين من أعاد دراسة التراث بروح عصرية تتناسب مع ما جد من تطور في مختلف مجالات الحياة.[2]

وكان من أثر ذلك ظهور عدد غير قليل من الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة، وعدد غير قليل من الترجمات لأهم الآثار الادبية والنقدية الأجنبية على اختلاف تياراتها واتجاهاتها.

وكان لتنوع الثقافات وتعدد المناهج التي اطلع عليها المثقفون والنقاد العرب المحدثون، كما كان للتواصل الكبير بين النقد الأدبي الحديث والعلوم اللغوية والانسانية والفلسفات المتعددة وبخاصة علم اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال والفلسفات ذات الطابع الكلاسيكي والرومانسي والواقعي -كان لكل ذلك آثاره الهامة في تطور النقد الأدبي والدراسات الأدبية في عالمنا العربي. إن التطور الهائل في مختلف مناحي الحياة في واقعنا العربي الحديث قد ولد الحاجة إلى إعادة النظر في كثير من المفاهيم والتقاليد الفنية، كما ولد الحاجة الماسة إلى المصطلح المناسب لكل جديد. وواضح أن المصطلح -كما يقول د.عزالدين اسماعيل- (لاينشأ إلا بعد حاجة مفهومية ماسة إليه بعد تراكم معرفي يفضي إلى نوع من الإحساس بأن ماهو متاح من لغة التخاطب أو التفاهم لم يعد كافيا، وأن هناك أفكاراً جديدة تطرح تحتاج إلى بلورتها في هيئة اصطلاحية أو في لفظ اصطلاحي)[3].

ولاشك أن المصطلح النقدي في العصر الحديث قد شهد تنوعاً وتطوراً واتساعاً في الدلالة بصورة لم تعرف من قبل، غير أن هذا التطور في ابتكار المصطلح أو استخدامه، كان في كثير من الأحيان يتسم بسمات جعلته يفضي إلى مستويات من الأداء لاتخلو من السلبيات، بل إن تلك السلبيات أصبحت بتعدد مظاهرها تمثل

---

1 النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري. د. حماد حسن أبوشاويش ص7.
2 المصدر السابق، ص7.
3 قراءة جديدة لتراثنا النقدي. د.عزالدين اسماعيل وآخرون ص243.

إشكالية حقيقية في واقع الحياة الأدبية والنقدية. وقبل الالتفات إلى نماذج توضيحية تطبيقية تكشف أبعاد مشكلة المصطلح النقدي وتشكيله واستخدامه نرى من المفيد أن نوضح أسباب وعوامل ظهور المشكلة.

ثانياً: أسباب وعوامل ظهور مشكلة المصطلح النقدي:

إن مشكلة المصطلح في النقد الأدبي ظاهرة من ظواهر أزمة النقد والأدب في حياتنا المعاصرة، وهي نتيجة لعوامل وأسباب غير ايجابية، منها أن النقاد والباحثين -وبخاصة واضعي المصطلحات- يعملون وكأنهم في جزر منعزلة نتيجة لافتقاد قنوات الاتصال بينهم ولاختلاف مناهجهم واتجاهاتهم حيناً، واختلاف وجهات نظرهم الايديولوجية أحياناً أخرى، كأن جوا من القطيعة أو الخصام يلف مجال الرؤية حولهم، وكان نتيجة ذلك غياب التنسيق بين واضعي المصطلحات من النقاد والباحثين والمترجمين، فلا تستخدم -في الغالب- مقاييس أو أساليب موحدة في وضع المصطلحات كالاشتقاق والنحت والتعريب والترجمة. (فبعض منهم يحبذ استخدام أسلوب مفضلا إياه تفضيلاً شخصياً على سواه من الأساليب، ومايزيد الأمر صعوبة أن لكل واحد من هؤلاء من الاقتناع ما يجعله يقول بصحة طريقته في وضع المصطلح اعتماداً على ثقافته وعلى الصورة التي عالج بها اللفظ الأجنبي والتي طابقت تصوره الشخصي لابتكار المصطلح)[1]

إن ماتدل عليه المعطيات السابقة يؤكد أنه تنقصنا الروح الجماعية للبحث، وبخاصة على مستوى المبادرات الفردية، فعلى هذا المستوى ينقصنا التعرف على مشاريع البحث التي تعقد عندنا. كما لاتتوافر لدى الكثيرين منا معرفة مايجري أحياناً في الجامعة المجاورة، فما بالك بالقطر المجاور، فهناك مؤلفات وبحوث وكتب مترجمة منشورة لاتصل إلى الآخرين من ذوي الاختصاص، فلو كانت الأمور الثقافية متواصلة لأمكن توفير كثير من الجهود.

إن بعض أسباب الاضطراب والاختلاف في وضع المصطلح -بالإضافة إلى ماسبق- يرجع إلى حركة الترجمة والتعريب في الوطن العربي حديثاً، فمن ذلك في مجال الترجمة اختلاف الترجمات واختلاف الاجتهادات في تلك الترجمات التي قد

---

1 التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. د.محمد المنجي الصيادي ص42.

تكون للعمل الأدبي أو النقدي نفسه، ففي المغرب والجزائر وتونس يترجمون بطريقة، وفي الشام يترجمون بطريقة وكذلك في العراق أو مصر يترجمون المصطلح الواحد بثلاثة مصطلحات أو أكثر.[1]

وربما تجد عند عدد من المترجمين في داخل القطر الواحد اجتهادات أكثر وفقا لثقافة كل مترجم أو ناقد، وللغة التي يجيدها أو يترجمها.

ومن الملاحظ أيضاً أن بعض المترجمين يقدمون على الترجمة دون تسلح كافٍ بأدواتها ومطالبها، ولذلك يعمدون إلى الترجمة الحرفية أو الترجمة الركيكة، وهذه الترجمة -وبخاصة في نقل المفهوم والمصطلح- تمثل أضعف الوسائل الاصطلاحية، لأنها تحبس اللفظة في جمود عديم الفائدة. ومن نتائج الترجمة غير الدقيقة ومن نتائج التسرع والارتجال في وضع المصطلح أن صار المفهوم الأجنبي غامضاً عند وضعه مصطلحاً في العربية رغم أن دلالته قد تكون واضحة في لغته الأصلية. وهذا مايؤدي إلى شيوع الإبهام والغموض.

إن من المظاهر الدالة على وجود مشكلة في المصطلح مانراه من عدم مبالاة بعض الدارسين وعدم اهتمامهم بالمصطلح القديم والحديث، ومن الواضح كما يرى د.محمود الربيعي أن (غياب ثراء المصطلح الموروث المتطور والمستحدث معا يجعل من بداية العمل في النقد الأدبي أمراً صعباً غاية في الصعوبة، ونظرة إلى الأبحاث التي تتم في مجال التراث النقدي تخبرنا أن آخر ما يفكر فيه الدارس هو مسألة المصطلحات، فالرسائل العلمية والمقالات والبحوث الأدبية النقدية التي تتناول التراث الأدبي أو النقدي تحتفل بالموضوعات والأفكار أيما احتفال وتحتفل بدلالات هذه الموضوعات والأفكار سياسياً واجتماعياً وثقافياً، ولكنها لاتحتفل بالمصطلح ولاتتساءل عن نوع اللغة التي كان يستخدمها النقد مثلاً، وهل هي لغة عادية أم لغة اصطلاحية، وإذا كانت اصطلاحية فما حدود مصطلحاتها وما المفاهيم الخاصة لهذه المصطلحات؟ وهل تطورت أم تجمدت؟)[2]

ومن مظاهر عدم المبالاة وعدم الاهتمام بالمصطلح مانجده لدى كثير من النقاد والمترجمين من عدم الالتزام أو التقيد في نهاية دراساتهم أو تراجمهم بوضع ثبت لمجموع المصطلحات الواردة منها أو تبويبها أو حصر دلالاتها، ومثل تلك

---

1 أسئلة النقد، جهاد فاضل ص68.

2 مقالات نقدية د.محمود الربيعي ص120.

الدراسات التي تنقصها قوائم مشروحة للمصطلحات المستخدمة تفتقد جانباً من قيمتها وأهميتها رغم كل ما بذل فيها من جهد وإخلاص.

إن الناقد أو المترجم الذي يقدم مصطلحاً جديداً في مجال النقد العربي عليه أن يحدد المعنى الذي يقصده بهذا المصطلح وبخاصة إذا كان لذلك الناقد رؤيته الخاصة لهذا المصطلح أو أن يكون للمصطلح عنده مدلول معين. ويفسر د. شكري عياد هذه الظاهرة التي تتمثل في إهمال بعض النقاد أو المترجمين تحديد مصطلحاتهم فيرى أن ذلك يعود لسببين: (السبب الأول أنهم يستمتعون بمخاطبة أنفسهم وبأن يكون الناس الذين لم يسمعوا بهذه المذاهب كأنهم في معزل. وهذا نوع من نفسية الطائفة أو الدائرة المحدودة التي أصبحت ظاهرة في الآداب العالمية كلما تقدمنا في الحداثة)[1].

ويرد السبب الثاني إلى خشية كثير من النقاد العرب المحدثين أن لايكون فهمهم للمصطلح دقيقاً أو صحيحاً. وليس عندهم الشجاعة الكافية لكي يدركوا أن لكل ناقد ملء الحرية في أن يحدد مفهومه.[2]

ويعترف بعض المترجمين بصعوبة المهمة التي يقومون بها وبخاصة وضع أو ترجمة المصطلح الجديد. يقول الاستاذ أحمد المديني مترجم كتاب (في أصول الخطاب النقدي الجديد) في مقدمة ترجمته: (إنني انبه القارئ من الآن إلى مخاطر المصطلح وصعوبة نقله، وقد عمدت بدوري إلى الاجتهاد أو إلى اقتباس مابات يتمتع ببعض التداول، والحق أني لم اجتهد إلا في حق ما وجدته غائباً أو ما أحسست أنه يشكل على الفهم، وفي اللحظة التي أدرك فيها بأن هذين المسعيين معا لايفيان بالمطلوب كنت أورد الأصل الأجنبي، وليس في ذلك أية حذلقة كما يعتقد البعض)[3].

---

1 جريدة القبس الكويتية عدد يوم 1989/7/17 ، وانظر اسئلة النقد ص168.

2 المصدر السابق.

3 في أصول الخطاب النقدي الجديد تزفتان تودوروف وآخرون ترجمة أحمد المديني ص8-9.

ثالثاً: مظاهر الاضطراب والاختلاف في وضع المصطلحات النقدية واستخدامها

من المظاهر الدالة على وجود مشكلة في المصطلح النقدي بروز موجات من التجديد في مجال النقد تتخذ من الثورة على المصطلحات السابقة عليها سبيلاً ومنهجاً، وفي حمأة النزوع إلى ذلك التجديد ظهر الحماس للغة جديدة في النقد تتعامل مع المصطلح الجديد وتفضله على كل قديم، وتمثل في فترة من الفترات هذا التوجه مجلة (فصول) النقدية التي بدأت عام 1980.

يقول د.عزالدين اسماعيل، رئيس تحرير المجلة فترة زادت عن عشر سنوات ورائد من رواد التجديد بها، في تعليه لهذا التوجه: (في البداية ظهر للناس أننا نطرح لغة غريبة عليهم، وهذه حقيقة لانزاع في هذا. إن المجلة (فصول) طرحت لغة غير مألوفة ومن أجل ذلك كانت بالنسبة لكثيرين لغة غامضة. المشكلة كانت قضية متعلقة بالمصطلح، المصطلح النقدي المتداول وقبل مجلة فصول، كان قد ابتذل واستهلك، ولانه ابتذل، حتى دلالته الاصلية والحقيقية كانت قد تهاوت وضعفت، فإن المصطلح القديم كان قد فقد دلالته الحقيقية في الكتابات، وأصبح الناس يكررونه دون أن يتدبروا المعنى الأصلي له.. (فصول) طرحت لغة جديدة لأنها تعاملت مع المصطلح الجديد)[1].

ولانشك في أن التجديد مطلوب في الساحتين الأدبية والنقدية على السواء، غير أن هذا التجديد لاينبغي أن يتنكر لكل الجهود السابقة عليه، فما يتحقق من تجديد في أي شكل من أشكال الإبداع إنما هو حلقة من حلقات التطور، وما قدمه الدارسون في مجلة (فصول) من ابتكار في مجال لغة النقد وأساليبه ومناهجه ومصطلحاته ليس الا استكمالاً للجهود السابقة في هذا المجال. إن الميل إلى التجديد ليس مبرراً للإسراف في استخدام مناهج وأساليب في النقد مستمدة في أغلبها من الغرب أو تطبيق مصطلحات ليست صادرة من صلب إبداعنا الأدبي أو ليست نابعة من التكوين الأصيل لتجاربنا الأدبية الخاصة بنا. فنحن مع التفاعل مع التيارات الفكرية والمنهجية والتفاعل مع الأداب الإنسانية كلها، ولكن التفاعل شئ والخضوع أو استسهال الخضوع للمناهج والمصطلحات الغربية شئ آخر، فهذا الخضوع الذي نجد بعض آثاره في مجلة (فصول) ولدى بعض الدارسين الآخرين –

---

1 اسئلة النقد جهاد فاضل ص240.

في صورة أسهم واشارات وتقسيمات وجداول ودوائر واحصاءات وابتداع مطلحات غريبة عن الأدب والنقد حولت بعض الدراسات النقدية إلى شئ أقرب إلى الرموز والاحصائيات مما أضفى عليها مزيداً من الاستغلاق والغموض، وهذا بالتأكيد -إذا ما أصبح ظاهرة تكتسب ثوب التجديد- لايفضي بنا إلى نقد أدبي عظيم.

ولايعني ما ذكرناه أنه لافائدة من معرفة اتجاهات النقد الغربية وتطبيقها على الادب العربي، إن تطبيق تلك المناهج يجب أن يقوم أولاً على معرفة صحيحة بتلك المناهج أو الاتجاهات على أن يكون ذلك التطبيق في نطاقه الصحيح وبطريقة صحيحة، وأن يكون ذلك الاستخدام للمناهد الغربية محدوداً ومؤقتاً بالضرورة بحيث لايكون غاية في ذاته وإنما يهدف في النهاية لتحقيق نتيجة شاملة ومطلب أساسي لنا يتمثل في الوصول إلى تكوين الناقد العربي القادر بمنهجه وأدواته ومصطلحاته وأساليبه النقدية على قراءة التراث بطريقة جديدة من شأنها أن تؤدي إلى اكتشاف وتأصيل مجموعة من التقاليد الموضوعية لهذا التراث، والقادر أيضاً على فهم الحاضر الأدبي على المستوى نفسه وربطه بالماضي بحيث يكون استمراراً له يستمد منه ويضيف إليه في الوقت نفسه. إن ما نريد في النهاية تحقيقه أن تكون لنا شخصيتنا وفكرنا النقدي العربي ليحيا هذا الفكر جنبا إلى جنب ويتعايش معيشة الند للند مع الفكر العالمي بحيث يتفاعل معه تفاعلاً أساسه الأخذ والعطاء.[1]

أما أن نعيش إلى أمد لانهاية له -على أفكار الاخرين ومناهجهم ومصطلحاتهم النابعة أساساً من نصوص تراثهم وحياتهم وفكرهم فذلك مالا يقبله أحد حريص على حاضر مشرق ومستقبل وضاء لأمته ولثقافتها وشخصيتها المتميزة.

على الرغم من أن المصطلح قد حقق في النقد الغربي إنجازاً هاماً من ناحية التحديد والانضباط والتميز، لايزال النقد العربي الحديث غير قادر على تحديد لغة خاصة به، أي لم يسيطر تماماً على مصطلحاته و لم يحدد مفاهيمها تحديداً دقيقاً، فالعشوائية والتسرع والاضطراب وعدم الدقة تسود استخدام المصطلحات النقدية على مستوى الساحة العربية كلها، فكل كاتب أو ناقد أو مترجم يستخدم المصطلحات على هواه ويسك لنفسه من الكلمات والتعابير والتراكيب ماليس له معنى إلا في ذهنه هو، فتجد المصطلح الواحد ذا دلالتين مختلفتين، أو ذا دلالات

1 مقالات نقدية د. محمود الربيعي ص57.

مختلفة عندهم، بل عند الواحد منهم في بعض الأحيان[1]. إن نظرة إلى استخدام هؤلاء للمصطلح النقدي توضح أن ذلك الاستخدام قد اتخذ عدة مجالات: منها مجال الاجناس الأدبية ومجال المذاهب أو الاتجاهات أو المدارس النقدية. وكذلك مجال موسيقى الشعر وما يتضمنه من مصطلحات عديدة، بالإضافة إلى استخدام مصطلحات متنوعة ذات صلة بالنقد والأدب.

ولايتسع المجال هنا لاستقصاء الكثير والكثير من الأمثلة التي تؤكد عجز النقد الأدبي الحديث عندنا عن تحقيق قدر مهم من النجاح في الاتفاق على ترجمة أو وضع أو استعمال المصطلحات النقدية، وحسبنا أن نثبت من تلك المصطلحات التي تعكس الاختلاف في عدد من المجالات السابقة، شواهد على وجود إشكالية في المصطلح النقدي.

1- في مجال الأجناس الأدبية:

يلتقي الدارس بأسماء لاحصر لها لقصيدة التراث: مثل اسم قصيدة التراث نفسه والشعر التقليدي والشعر العمودي والشعر التناظري والشعر الاتباعي والشعر الموزون المقفى والشعر القديم، كما أن هناك أسماء للشعر الذي جاء بعد قصيدة التراث في العصر الحديث مثل الشعر الحر، الشعر المرسل، شعر التفعلية، الشعر الحديث، الشعر الجديد، الشعر المنطلق. وأخيراً مرت القصيدة العربية بمرحلة أخيرة متجاوزة المرحلتين السابقتين أنتجت عدداً من التسميات مثل: قصيدة النثر، الشعر المنثور، النثر الشعري، النثيرة، الشعر غير الموزون، النثر الفني[2]. وأكثر تلك التسميات والمصطلحات تحمل في ثناياها كما يرى أحد الدارسين موقفا أيديولوجيا أو منطلقا فكريا محدداً فهو مع أو ضد هذا الشكل أو ذاك.[3]

إن المدقق في تلك التسميات لايستطيع أن يحدد تعريفا أ ومصطلحاً متفقاً عليه لنمط من الأنماط الشعرية السابقة، فالتسميات متفاوتة وغير محددة الدلالة وغير دقيقة، ولتأكيد ذلك نتوقف عند أمثله من تلك التسميات لنتعرف على دلالتها على القصيدة التي تغنيها التسمية أو المصطلح. فمثلاً (الشعر العمودي) وهو تسمية

---

1 المرجع السابق ص120.

2 مجلة الفصول الأربعة العدد 76 فبراير 1994 السنة الرابعة عشرة ص40.

3 المصدر السابق، نفس الصفحة.

للقصيدة التي تسير على نظام الشكل التقليدي وبخاصة الالتزام بالوزن والقافية، هذا المصطلح ليس دقيقاً في دلالته على هذا النمط من الشعر، لأن مصطلح (عمود الشعر) الذي استمد منه (الشعر العمودي) لم يكن مقصوراً على جانب الوزن والقافية أو شكل القصيدة الخارجي بل يتعداه إلى محتوى القصيدة ومستوياتها البلاغية والتقاليد الموضوعية والفنية القديمة.

ومثل ذلك مصطلح (شعر التفعيلة) الذي لايعبر تعبيراً دقيقاً عن طبيعة الشعر الذي لم يلتزم بشكل الشعر القديم، وواضح أن هذه التسمية فيها من السطحية والتجاوز الشئ الكثير، لأن الخروج على النص الشعري القديم ليس خروجاً عروضياً فحسب، بقدر ما هو خروج في الرؤية والبناء.[1]

أما مصطلح (قصيدة النثر) فإنه لايختلف عن المصطلحين السابقين بل إنه أكثر بعداً عن المفهوم الصحيح لما يحمل من تناقض، فكيف يتسم نص بروح الشعر في الوقت الذي يعدم قانون انتظام الشعر نفسه؟

ونحن نعجب حقاً لمن يصفون هذا النوع من التعبير بأنه (نص شعري دون ريب)[2] رغم اقتناعهم (بأن مايشتمل عليه ليس إلا شظايا متناثرة ونوى مجزأة مبعثرة في الكلام النثري الذي لايكون من ورائه قصد ايقاعي خارجي)[3]

إن مفهوم (قصيدة النثر) لم يتضح فترة عند أنصاره، وهم تجمع مجلة (شعر) البيروتية، ففي بدايات نشر نصوص من هذا النمط عام 1958 أثير جدل كان المشاركون فيه أعضاء تجمع (شعر) أنفسهم حول نتاج محمد الماغوط وتوزعت الأحكام بين قائل بأنه نثر جميل أو عطاء جميل أو نثر رائع[4] وما يبعث على الغرابة اعتراف أهم دعاة قصيدة النثر وبخاصة أدونيس بأنها ذات مصدر أمريكي أوروبي[5] فهي تقليد لنمط من التعبير ساد في الأداب الغربية.[6]

---

1 المصدر السابق، ص41.

2 انظر بحث (قصيدة النثر) للدكتور عبدالمجيد زراقط بمجلة شؤون أدبية الصادرة عن اتحاد كتاب وادباء الامارات العربية عدد 10 ربيع 1991 ص 18 ومابعدها.

3 مجلة الفصول الأربعة عدد 76 ص41.

4 مجلة (شعر) البيروتية عدد 6 سنة 1958 ص124.

5 مجلة مواقف العدد 36 شتاء 1980 ص138.

6 يذكر أدونيس وأنسي الحاج أنهما متأثران بكتاب سوزان برنار (قصيدة النثر منذ بودلير حتى أيامنا) انظر مجلة (شعر) البيروتية عدد 14 سنة 1960.

إننا نرى أن إخراج هذا النمط من التعبير من مجال الشعر ليلحق بالنثر أجدى وأكثر دقة وتحديداً لأنه من غير المناسب أن نسمه بسمة الشعر لافتقاده أكثر مقومات الشعر. ولعل هذا التخبط في التسميات يؤكد أن استخدام بعض المصطلحات في مجال الأنماط الشعرية استخدام غير موفق يبعث على البلبلة والاضطراب.

ونلتقي في مجال الاجناس الأدبية الأخرى -غير الشعر- بمصطلحات لاتتميز بالتوافق أو التحديد، فهناك من مال إلى تسمية المسرحية بالرواية وعلى هذا كانت مسرحيات شوقي الشعرية -عند البعض- تسمى أحياناً روايات أحمد شوقي ولاتعدم من يسمى المسرحية الرواية التمثيلية، وقد أورد البستاني الشعر التمثيلي بمعنى الشعر المسرحي أو الدرامي.[1]

ويختلف المترجمون أو الدارسون في ترجمة بعض المصطلحات. فالتراجيديا يترجمها بعضهم بالفاجعة ويترجمها كثيرون بالمأساة[2] ، ويفضل أكثر المعاصرين استعمال الكلمة بلفظها الأجنبي (تراجيديا).

أما الكوميديا فيترجمها بعضهم بفن المضحكات ويترجمها البعض الآخر بالمهزلة أو بالمسلاة[3] ويترجمها كثيرون بالملهاة ويفضل أكثرهم استعمال الكلمة بلفظها الاجنبي (كوميديا). كما لايشعر القارئ بكبير فرق -لدى بعض النقاد- في استخدامهم (مسرح العبث) بمعنى (مسرح اللامعقول) و (الحكاية) بمعنى (الحبكة الفنية) و(تيار الوعي) بمعنى (تيار الشعور) أو (المناجاة الداخلية).

وإذا كان بعضهم قد خصص مصطلح (الرواية) بالقصة الطويلة فإن هناك من استخدم كلمة القصة للدلالة على القصص القصيرة، وفرّق بعضهم أخيراً بين القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً[4].

---

1 مقدمة في النقد الأدبي د.على جواد الطاهر ص215.
2 المصدر نفسه ص215 نقلا عن (أصول الأدب) للزيات.
3 المصدر نفسه ص215 نقلا عن (علم الأدب) لروحي الخالدي ص111.
4 المصدر نفسه ص261.

2- في مجال المناهج والاتجاهات النقدية:

يصطدم القارئ بأسماء كثيرة لمسميات متقاربة أو متشابهة، فيسمع بالنقد الشكلاني والنقد الشكلي، والنقد الاستتيكي، والنقد الفني والنقد الجمالي والنقد الأسلوبي، وهي مصطلحات للدلالة على المنهج أو النقد الذي يضفي الأهمية في النص الأدبي على الجانب الشكلي الخارجي ويهون من قيمة المضمون.[1]

ونسمع عن المنهج الايديولوجي[2] والاعتقادي والمذهبي[3] والالتزامي[4] والواقعي الاشتراكي والماركسي والاجتماعي[5] بدلالات متقاربة ونسمع النقد النفسي والنقد النفساني[6] والنقد القاعدي والمعياري[7]. كما نسمع عن النقد النحوي والنقد اللغوي والنقد البلاغي والنقد البياني والنقد الفقهي والنقد المدرسي أو الجامعي بمعنى واحد أو متقارب[8] وهو النقد الذي (ينظر في الشعر إلى نحوه وصرفه وعروضه وبيانه وبديعه وفي بعض الأحيان إلى معانيه، وهو النقد الذي سار عليه جل نقاد العرب من قرون وقرون ولايزال محوراً لنقدات كثير من نقاد اليوم[9].

ومثل هذا الاضطراب في استخدام المصطلحات في مجال نقد الشعر نجده بالقدر نفسه في مجال نقد الرواية، فيلتقي الدارس بمصطلحات مكررة أو متشابهة دون تحر أو متابعة من الباحثين المستخدمين لتلك المصطلحات، فأحد الباحثين يستخدم رواية الترجمة الذاتية وآخر يستخدم رواية التجربة الشخصية للدلالة على معنى أو شئ واحد، وغيرهما يستخدم الرواية التاريخية القومية مقابل الرواية التاريخية عند باحث آخر. وهناك من يستخدم الرواية الاجتماعية مقابل رواية الطبقة

---

1 المصدر نفسه ص434 وانظر: في الادب والنقد د. محمد مندور ص83-86.
2 النقد والنقاد المعاصرون د.محمد مندور ص181.
3 مقدمة في النقد الأدبي د. محمد حسن عبدالله ص55.
4 اتجاهات نقد الشعر د.عبدالواحد علام ص177.
5 مقدمة في النقد الأدبي د.محمد حسن عبدالله ص56.
6 النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته د. أحمد كمال زكي ص179 وانظر: أبونواس، عباس العقاد ص58.
7 مقدمة في النقد الأدبي، د.علي جواد الطاهر ص423.
8 المرجع السابق ص373. والمقصود بالنقد المعياري أو القاعدي النقد الذي يطبق قواعد أرسطو.
9 الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى السحرتي، ص9، وانظر المرجع السابق ص373.

الاجتماعية[1]. ومثل هذه المصطلحات -وغيرها- متشابهة ومتداخلة، وكان من الممكن أن تستفيد الأبحاث اللاحقة من السابقة عن طريق تثبيت معنى أو دلالة محددة للمصطلحات السابقة باستخدامها أو حتى مناقشتها وتثبيت العدول عنها إذا ما استدعى الأمر ذلك، ولكن يبدو أن كل باحث يعمل في واد.[2]

3- في مجال المدارس والتيارات النقدية:

لايزال الاستعمال متردداً بين الرومانتيكية والرومانسية[3] والرومانطيقية والرومانتية والرومانية[4] والابتداعية والوجدانية باعتبارها مدلولا واحدا، ومثل ذلك الكلاسيكية والكلاسية[5] ومصطلح (البنيوية) وهو اتجاه أو منهج لغوي نقدي حديث لم يتم الاتفاق عليه، فبعض الباحثين يستخدم مصطلح (البنائية) ليدل على مصطلح (البنيوية)، وقد ورد مصطلح (البنيوية) في كثير من الدراسات المترجمة وغير المترجمة[6]. أما مصطلح (البنائية) فقد ورد عنواناً لكتاب (نظرية البنائية في النقد الأدبي) للدكتور صلاح فضل وهو من الكتب الهامة في مجال النقد الأدبي.

---

1 مقالات نقدية د. محمود الربيعي ص121.

2 المرجع السابق والصفحة نفسها.

3 يعترض د. علي جواد الطاهر على استخدام الرومانتيكية محل الرومانسية وعلى استخدام الرومانتيكي بدلاً من الرومانسي، ويفسر ذلك بأن الرومانتيكية ليس أصلها من Romanse ولو كان هذا هو أصلها لقالوا Romancisme - انظر مجلة الفكر العربي عدد خاص عن اللغة العربية واشكالات المعاصرة 208/1.

4 أول من استخدم الرومانية بمعنى الرومانتيكية روحي الخالدي 1904 انظر: الهلال مجلد 1904/1903 ص528 وقد استند روحي الخالدي في ذلك إلى أن لفظة الرومانية من الرومان وهي اللغة المتفرعة عن اللاتينية القديمة.

5 كمثال على هذه التسميات انظرعناوين الكتب التالية - مترجمة وغير مترجمة:
- النظرية الرومانتيكية في الشعر، كولريدج، ترجمة عبدالحكيم حسان، دار المعارف بمصر.
- الرومانتيكية د. محمد غنيمي هلال دار الثقافة بيروت 1973.
- الرومانطيقية، ترجمة بهيج عثمان دار صادر بيروت 1956.
- الرومانسية ليليان فرست ترجمة د. عبدالواحد لؤلؤة، بغداد 1978.

6 من الكتب المترجمة:
1- البنيوية في الأدب، روبرت شولز، ترجمة حنا عبود.
2- البنيوية، جان بياجيه ترجمة عارف منيمنة وبشير آوبري، ومن المؤلفات: جدلية الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر د. كمال أبو ديب.

والبنيوية في مصطلح المشارقة يعادل (الهيكلية) في مصطلح المغاربة وقد عرضوا لها في علم اللغة وفي النقد الأدبي.[1]

أما مصطلح (الجمالية) فيقابلنا بصورة مختلفة كعلم الجمال، وفلسفة الجمال والاتجاه الجمالي والاتجاه الفني.

كما ورد مصطلح (التأثرية) و (الانطباعية) للدلالة على شئ واحد[2]، وكذلك مفهوم (التفكيكية) Deconstruction ترجم باسم التحليلية البنيوية. أما مفهوم الظاهراتية Phenomenology فيفسره مترجم كتاب (المعنى الادبي من الظاهراتية إلى التفكيكية) من خلال وصفه للنظرية الظاهراتية بأنها (النظرة التي حاول أصحابها تحقيق وصف شامل لظاهرة المعنى الأدبي كما تقدم نفسها إلى شعورنا.. وآمن هؤلاء بأن الظواهر إنما تفهم من خلال البديهة المباشرة[3].

ويستعمل مصطلح التكوينية Structuralisme بمعنى مقارب حينا وبمعنى مغاير حينا آخر لمصطلح الأسلوبية Formalisme عند بعض الدارسين رغم أن مفهوم هاتين الكلمتين كما يقول الناقد (بيير مورو) مطاط وغير واضح ويدعو للتداخل حتى في ذهن من أطلقوهما أنفسهم.[4]

وقد قال جان بيير ريشار (إن الإسلوبية والتكوينية بالنسبة لفرنسا يعتبران مترادفين)[5] وكلا المصطلحين يستند إلى فكرة تقييم العمل الأدبي بتركيز الاهتمام على ناحية الصياغة والأسلوب.

4- في مجال موسيقى الشعر:

يلاحظ أنه قد تعددت المصطلحات ويقصد بها شئ واحد، فما يسمى بالانجليزية Stress يسمى تسميات مختلفة عند الدارسين كالنبر[6] والارتكاز[7]

---

1 التعريب ودوره في تدعيم الوحود العربي والوحدة العربية، (بحوث ندوة فكرية) ص440 (الهامش).

2 في الأدب والنقد د. محمد مندور ص90.

3 المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، ص9-11.

4 الاتجاهات الحديثة للنقد الأدبي د. كوثر بحيري، ص172.

5 المرجع السابق والصفحة نفسها.

6 النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد/ علي يونس ص234، وانظر: قضية الشعر الجديد. د. محمد النويهي ص231، موسيقى الشعر العربي. د. شكري عياد ص49.

7 مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الأول (مقال د. مندور) عدد 1 سنة 3 ص194.

والضغط[1] والشدة أو التشديد[2] وكذلك مصطلح (الايقاع) فهو عند أحد الدارسين نغمة صاعدة في مقطع مبتور من المقاطع التي تتوسط الشطر[3] وعند غيره (هو حركة الأصوات الداخلية التي لاتعتمد على تقطيعات البحر والتفاعيل، وهو غير الوزن، وهو التكوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها)[4] وعند آخر (العلاقة الزمنية بين أجزاء اللحن)[5].

ومصطلح (القافية) معناه عند بعض النقاد: الساكنان (الأخيران في البيت وما بينهما والحرف المتحرك قبل الساكن، ومعناه عند آخرين الروى[6] ولاشك أن هذا الاختلاف وهذا الخلط في استخدام المصطلحات يؤدي إلى سوء الفهم والاضطراب.

5- ويصادف القارئ، في بعض الدراسات مصطلحات متنوعة ذات صلة بالنقد الأدبي وهي مصطلحات غير متفق على صورتها النهائية وعلى مجالاتها المحددة مثل (سيمنطيقا) (علم العلامات) فنسمع عن (سيميوطيقا) أدبية وأخرى شعرية وغيرها علمية، ونسمع سيميولوجيا اللغة وكذلك المسرح و (سيمنطيقا)، ومن ذلك (هورمنيوطيقا) الذي إرتبط بتفسير النص وله عدة مجالات تاريخية ودينية وأدبية ونقدية. ومن ذلك مصطلح (البوطيقا) الجديدة أو الإنشائية أو الشعرية[7] التي استعملت لدى بعض الباحثين بمعنى واحد ثم اختلف حولها، فقد اعترض محي الدين صبحي على توحيد الدلالة للمصطلحات السابقة، كما اعترض على مناسبة تلك المصطلحات لمدلولها، فهو يرى أن (الشعرية) من الأنسب أن يقال عنها (القول الشعري) أما (الإنشائية) فهي أقرب إلى (التأليف أو أصول التأليف)[8]

ويقابلنا مصطلح (انطولوجي) و (أنتولوجي) و (أنثولوجي) لمعنى واحد هو

---

1 الشعر العربي المعاصر، د.عزالدين اسماعيل ص85.

2 نظرية الأدب، أوستن وارين، رينية ويلك، ترجمة محي الدين صبحي، ص216 المترجم يترجم النبر بالشدة.

3 مجلة (الشعر) القاهرية عدد ابريل 1976.

4 الأسس الجمالية في النقد الأدبي د.عزالدين اسماعيل ص374.

5 موسيقى الشعر العربي. د.شكري عياد ص112.

6 النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد، علي يونس، ص233.

7 الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السنى في نقد الأدب/عبدالسلام المسدي ص21.

8 نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، محي الدين صبحي ص194.

المختارات أو النصوص المختارة أو المنتخبات رغم الاختلاف الواضح بينها.[1] ويحلو لبعض النقاد أو الباحثين أن يبتكر لنفسه بعض المصطلحات التي لا جديد فيها مثلما نسمع عن (الأدب الراهن) كمصطلح يقابل (الأدب المعاصر أو الأدب الحديث) و (الأسلوبية) مقابل الأسلوب المقلد، أما (التزمين) فيقابل تاريخ الأعمال الأدبية[2] والطابع (الطوطولوجي) أي التكراري[3]، وكلمة (الجهاز) بمعنى المنظومة و (المتقبل) بمعنى المتلقي، والانزياح بمعنى خرق القواعد أو اللجوء إلى ماندر من الصيغ.[4]

وأعجب ما قابلني من مصطلحات مصطلح (تقريد) مقابل التقليد في الأدب والنقد[5]، ويتضح أيضاً أن هناك خلطاً بين استعمال مصطلح (الرمزية) باعتباره مذهبا في الكتابة الأدبية والفن ينتمي إليه عدد من الأدباء ذوي نزعة تميل إلى الايحاء والغموض في التعبير وإلى جعل ما يرونه في الحياة رمزا لحالات نفسية، وبين (الرمزية) باعتباره منهجاً أو طريقة في دراسة النقد تقوم على تأويل المعاني أو القدرة على اكتشاف الأفكار والمشاعر الغامضة والكشف عن مدلولاتها في الأدب.

ويلاحظ الدارس أن هناك اختلافاً واسعاً حول مصطلح (الحداثة) عند النقاد، فهذا المصطلح تعرض شأنه شأن فكرة الحداثة لاضطراب وتغير في الدلالة وتحول في المعنى، فنسمع الحداثة القديمة والحداثة الجديدة وما بعد الحداثة.

إن مصطلح الحداثة لم يكن غريباً أو مفقوداً في نقدنا العربي القديم، فقد استخدم بعض النقاد واللغويين والرواة لفظ (المحدثين) وصفاً للشعراء الذين خرجوا على السائد والمألوف (عندما احتدم الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد حول الشعر الذي اتسم ببعض سمات التجديد في العصر العباسي. ومع ذلك مال عدد من الآدباء والنقاد المحدثين إلى أصول غربية في دعوتهم إلى الحداثة في الأدب والفكر، فانقلب هذا المفهوم على نحو جذري عند الحداثيين واتخذت الحداثة شكل

---

1 مجلة الفكر العربي عدد خاص عن اللغة العربية واشكالات المعاصرة، ص 207، وهناك اختلاف في المعنى والدلالة بين Anthology و Ontology.

2 الملحق الثقافي بجريدة الخليج الاماراتية (الخليج الثقافي)، عدد 36 بتاريخ 1981/12/14.

3 في أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان تودوروف وآخرون، ترجمة أحمد المديني ص51.

4 الاسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب، ص65 ، 143، 85.

5 الملحق الثقافي بجرية الخليج الإماراتية (الخليج الثقافي) مرجع سبق ذكره.

صراع بين توجهين متناقضين ومتزامنين في الوقت ذاته.[1]

وقد صاغ أصحاب الدعوة إلى الحداثة تعريفات للحداثة اتسمت بالغموض والالتواء واكتسبت صبغة فلسفية تجريدية واختلفت تعريفاتها -عند النقاد- باختلاف توجهاتهم ومواقفهم، وبدت هذه التعريفات في بعض الأحيان متناقضة[2]. فالحداثة أحياناً تشمل التجديد في المضامين الفكرية والفلسفية كما يرى أدونيس[3]، كما أنها تشمل أحياناً أخرى التجديد في المضامين وتفجير القوالب الصياغية أو الأدائية معاً، أي الثورة على المضامين والأشكال الفنية كما يرى عبدالسلام المسدي.[4]

ويذهب حنا عبود إلى أن كلمة الحداثة من حيث دلالتها تقابل (الرثاثة) مثلما أن كلمة قديم مقابلة للجديد، فالرثيث هو البالي الذي تخطاه الزمن على عكس الحديث الذي يمثل تقدما أقرب إلى القانون الأشمل.[5]

ويفسر د. كمال أبوديب الحداثة بأنها تعني الانفصام (الانفصام دائما فعل توتر وقلق ومغامرة)[6]. وتتسم الحداثة عند الحداثيين العرب بالتمرد على الأعراف السائدة والثورة على القيم والدعوة إلى الحرية بمفهومها الأوسع وإسقاط القداسة عن كل شئ مع ميل إلى الغرابة والغموض واستخدام أسلوب التغيير والهدم والبناء بالطرائق ذاتها التي سلكتها الحداثة الغربية. يقول أدونيس: (الحداثة رؤيا جديدة، وهي جوهريا رؤيا تساؤل واحتجاج: تساؤل حول الممكن وإحتجاج على السائد)[7].

وكثيراً ما تداخل مفهوم الجدة (الجديد) مع مفهوم الحداثة لدى عدد من النقاد، كما أصبح عندهم أيضاً خلط واضح بين مفهوم الحديث والمعاصر.[8]

ومن المفاهيم أو المصطلحات التي شاعت في الدراسات الأدبية مفهوم (النظرية). والنظرية في المفاهيم الفلسفية الغربية هي: (مجموعة من الموضوعات

---

1 الابداع ومصادره الثقافية عند أودنيس، د.عدنان قاسم، ص42.
2 المرجع السابق ص45، 49.
3 المرجع السابق ص45، 49.
4 مجلة (فصول) المجلد الرابع العدد الرابع 1984 ص12.
5 مجلة الناقد العدد الثامن فبراير 1989 مقال (مقاربة الحداثة) ص31.
6 مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث 1984، ص35.
7 الثابت والمتحول (صدمة الحداثة)، أدونيس ص244، وانظر الأبداع ومصادره ص49.
8 مجلة الناقد العدد الثامن فبراير 1989 ص31.

القابلة للبرهنة والقوانين المنتظمة وتخضع للفحص التجريبي، وتكون غايتها وضع حقيقة لنظام علمي، وهي مجموعة متسعة من الافتراضات التي تكون قابلة للخضوع لنظام التحقيق)[1]

ويبدو أن مفهوم (النظرية) قد انتقل من مجال العلوم السياسية والقانون إلى مجال الأدب والنقد، فبناءً على التساهل الذي يعد مجموعة من الأفكار والآراء التي يروج لها حزب من الأحزاب أو سياسي محتك من الساسة – نظرية فإنه عدّ كلّ ما يشبه ذلك من الأفكار الموضوعة حول علم من العلوم أو فن من الفنون أو جنس من الأجناس الأدبية نظرية أيضاً، ولعل بعض ذلك كما يرى د.عبدالملك مرتاض- ماحمل النقاد المعاصرين على اللهج بمصطح (النظرية) فإذا للأدب نظرية، وللنقد نظرية، وللرواية نظرية وللنص نظرية[2].

ونصطدم عند قراءة بعض الكتب في الأدب والنقد بترجمات غريبة لبعض المصطلحات مثل (المحايثة) ترجمة لمبدأ الانبثاق، و (شاقولي) ترجمة لمحور الاستبدال في النقد[3]، وأحياناً نسمع عن علم الاسلوب وعن الأسلوبية بمدلولات متشابهة أو متقاربة، وعن علم اللغة والألسنية كذلك، ونسمع عن القراءة النقدية العميقة التي تسمى أحياناً قراءة ثانية أو قراءة جديدة دون تمييز بينها. ونسمع عن غيرها من المصطلحات دون اتفاق واضح على استعمالاتها بصورة تضيع فيها الحدود الفاصلة والدقيقة بين الأشياء.

إن من يقرأ كتاب (الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب) للدكتور عبدالسلام المسدى -وهو كتاب له قيمته- يدرك مدى الصعوبة التي تواجه المرء في فهم الكتاب والإفادة منه، وليس هناك من سبب لذلك سوى كثرة المصطلحات النقدية واللغوية المترجمة والموضوعة. وقد تنبه المؤلف لهذه الحقيقة فأفرد ما يقارب نصف الكتاب من ص125 إلى ص 235 للكشف عن تلك المصطلحات الصعبة وتفسير الألفاظ الأجنبية التي اشتمل عليها الكتاب، وهذا في حد ذاته يعكس لنا جانباً من الإحساس بمشكلة المصطلح.

ومن يطلع على مجلة (فصول) النقدية، وبخاصة الأعداد الأولى منها يجد دليـ

---

1 قراءة جديدة لتراثنا النقدي 260/1.

2 المرجع السابق والصفحة نفسها، وانظر نظرية النقد العربي وتطورها ص1.

3 الخليج الثقافي عدد 36 بتاريخ 1981/12/14.

على ما نتحدث عنه، فقد أشارت المجلة إلى شكوى القراء بل وشكوى بعض الأدباء الكبار من عدم القدرة على فهم شئ من أبحاث المجلة بالرغم من قيمتها الكبيرة، وقد وصل الأمر بأحد الأدباء الذين قرأوا مجلة (فصول) إلى القول: (لم أكن أعلم أن النقد قد صار على هذا القدر من الصعوبة)[1].

ولانظن أن هذه الصعوبة متأتية من المنهج أو المضمون الذي تعالجه دراسات المجلة بقدر ماهي متأتية من لغة النقد وكثرة المصطلحات الغريبة والجديدة التي تحفل بها صفحات المجلة.

رابعاً: المقترحات والتوصيات

وبعد لست أريد أن اتخذ موقف المتشائم ولكني حريص على أن أسجل إحساسي بخطورة المشكلة التي طرحناها، وأعتقد أن من الضروري أن نشحذ الشعور بالحاجة إلى مراجعة أساليب نقدنا بل وفهمنا لأدبنا العربي القديم والحديث.

وفي هذا المجال نطرح عدداً من المقترحات أو التوصيات التي نأمل أن تسهم في تحديد تصور واضح لحل المشكلة أو لمعرفة أبعادها:

- ان استثمار معطيات الحضارة والاستفادة من مختلف المعارف والعلوم الأجنبية لتطوير مناهجنا ومصطلحاتنا وأدواتنا المعرفية لايعني أن نتجاهل تراثنا وما فيه من أمور مفيدة صالحة، ولهذا نرى ضرورة البدء بفهم مصطلحنا النقدي العربي في مختلف عصور استخدامه إلى جانب فهم مصطلحات الغرب التي نطبقها على آدابنا ودراساتنا النقدية في العصر الحديث.

- إن من يشغل نفسه بوضع أو ترجمة المصطلح النقدي عليه أن يكون على معرفة جيدة بعلم اللغة بوجه عام وعلم الدلالة بوجه خاص، وعليه أن يتعمق في كل ما يتصل بالحقول الدلالية التي ينبغي على أساسها أن يصنف المصطلحات ويكتشف العلاقات بينها.

كما لابد له من الإفادة من المعاجم القديمة وبخاصة معاجم الموضوعات

---

1 مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثالث (الافتتاحية).

المتخصصة ككشاف اصطلاحات الفنون، واحصاء العلوم ومفتايح العلوم والتعريفات للجرجاني، والكليات للكفوي، وكذلك الإفادة من المعاجم الحديثة كمعاجم مجدي وهبة وإبراهيم فتحي ومعجم عبدا لله العلايلي الذي طبع جزء منه في بيروت في أول الستينات.

- إن من واجب من يتصدى لوضع المصطلحات أو ترجمتها أن يكون واسع الثقافة وأن يتقن اللغة الأجنبية التي يترجم منها وأن يعرف الوسائل الاشتقاقية لتلك اللغة، وذلك لكي يتمكن من التحري عن اللفظ الأجنبي قصد التثبت من مستواه الدلالي واحتمالات خطأ نقله إلى العربية. وكذلك عليه أن يكون واعياً مستوعيا لقواعد اللغة العربية واشتقاقاتها وبنائها وللمصطلحات الخاصة بمادة اختصاصه وأن يتميز بالتروي والتحري مدة طويلة عن القيمة الدلالية والاشتقاقية للمصطلح الذي يختاره حتى يحصل على خبرة واسعة يضيف إليها جانباً من الموهبة الأدبية تسمح له أن يكون على علم تام بوسائل وضع المصطلح وفقا لأوزان ألفاظ العربية وصيغها كالإشتقاق والمجاز والاستعارة والنحت والتعريب، بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يتعرف على الوسيلة التي تكون أكثر مناسبة من غيرها وعلى اللفظة التي قد تكون أكثر صلاحية للمصطلح من غيرها.

- إننا بحاجة لدراسات معجمية في تطور المفاهيم والمصطلحات في الفكر العربي والغربي، دراسات تهتم بالتطور التاريخي والدلالي للألفاظ والمصطلحات.

- تنمية التواصل بين الأدباء والمثقفين والنقاد العرب بتسهيل كل سبل ذلك التواصل وتوظيف وسائل الاعلام للنشاطات المختلفة واطلاع القارئ العربي على مايصدر من أبحاث وكتب ودوريات تتناول قضايا النقد والأدب والفكر.

- ينبغي ألا يستمر غياب التخطيط والتنسيق والتكامل في حركة الترجمة في الوطن العربي بين المؤسسات العلمية والمجامع العربية، فاستمرار ذلك جعل الترجمة – رغم كل ما أسدته من فوائد– لاتبلغ مرحلة النضج من حيث اللغة والاسلوب والمصطلح، وغلب على كثير من الترجمات طابع العجلة والتسرع، ولهذا نرى ضرورة بذل الجهود من أجل تجاوز السلبيات وذلك بوضع خطة قومية للترجمة في ضوء الدراسات المتخصصة التي تقدم عن واقع الترجمة في الأقطار العربية.

وكذلك دعم مؤسسات الترجمة والنشر وإحداث مؤسسات للترجمة والنشر أو التشجيع على إحداثها في الأقطار العربية، وإصدار التشريعات اللازمة لتنظيم حركة الترجمة والرقي بها وتحديد معايير متفق عليها يلتزم بها المترجمون، وتبادل المعلومات وتنظيم وسائل الاتصال والتعاون بين مؤسسات الترجمة من النواحي الفنية والتسويقية والإعلام واصدار ببليوعرافيا سنوية بالكتب المترجمة، والاهتمام بالمستوى الفني للترجمة وتيسير تداول الكتاب المترجم وتوزيعه.

- لابد للمجامع العلمية واللغوية من المشاركة في حل لهذه المشكلة وذلك بأن تشارك في تذليل الصعوبات وتيسير مهمة الباحثين ومن خلال توحيد اللغة التي يتحدث بها هؤلاء الباحثون، وذلك بوضع معاجم مبوبة للمصطلحات الأدبية والنقدية[1] مع شرحها ونشرها والعمل بها بصورة عامة وكاملة في الوسط الأدبي، وعلى الجامعات أن تقوم بدورها المأمول في هذا المجال بالمشاركة مع المجامع في عقد الندوات والملتقيات العلمية لمناقشة القضية ونأمل أن تكلل تلك الجهود بالنجاح لنرى ونسمع عن دوائر معارف نقدية وأدبية، وبذلك يتحقق للنقد والأدب والثقافة انجازات هامة تنقلها من حالة الضعف والتخبط إلى حالة من الانضباط والتحديد والتميز والإزدهار.

1 عقد اتحاد المجامع العربية ندوة في دمشق سنة 1972 حول المصطلحات القانونية ثم في بغداد حول المصطلحات النفطية، كما اسهمت المجامع العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باصدار عشرات المعاجم في المجالات العلمية واللغوية والقانونية والاجتماعية وغيرها، ومع ذلك لم يحظ الادب والنقد الأدبي بنصيب من تلك المعاجم، كما لم تعقد ندوات خاصة بضبط المصطلحات الادبية والنقدية كما هو الشأن في ميادين العلوم الأخرى، ولعل غياب هذا الاهتمام عن مجال المصطلح النقدي على مستوى المجامع العربية وغيرها من المؤسسات يرسخ المشكلة التي ننبه إلى آثارها غير الايجابية.

المصادر والمراجع

- الابداع ومصادره الثقافية عند أونيس، د. عدنان قاسم د.ت 1991.
- الاتجاهات الحديثة للنقد الأدبي، د.كوثر بحيري ط1، الانجلو المصرية، القاهرة 1979م.
- اتجاهات نقد الشعر في مصر، د.عبدالواحد علام، مكتبة الشباب، القاهرة 1979م.
- أسئلة النقد، جهاد فاضل، الدار العربية للكتاب ليبيا/ تونس د.ت.
- أساس البلاغة للزمخشري، بيروت 1965.
- الأسس الجمالية في النقد الأدبي، د.عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة 1955.
- الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا/تونس 1977.
- الأصوات اللغوية، د.ابراهيم انيس ط5، الانجلو المصرية 1975.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. احسان عباس، ط2 دار الثقافة بيروت 1987.
- تطور النقد العربي الحديث في مصر، د.عبدالعزيز الدسوقي، الهيئة العامة للكتاب 1977.
- التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، د.محمد المنجي الصيادي، ط1 مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1980.
- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية (مجموعة من الباحثين) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ط 2 بيروت 1986.
- الثابت والمتحول (صدمة الحداثة)، أدونيس، دار العودة بيروت 1983.
- الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د.عزالدين اسماعيل، دار الكتاب العربي القاهرة 1967.

- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبداللطيف السحرتي، المقتطف والمقطم 1948.
- عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق د.طه الحاجري و د.محمد زغلول سلام، التجارية، القاهرة 1972.
- فحولة الشعراء، الأصمعي، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي وطه محمد زيني، القاهرة 1953.
- فن الشعر، د.إحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت 1961.
- في أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان تودوروف وآخرون، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1987.
- في البنية الايقاعية للشعر العربي، د. كمال أبوديب، دار العلم للملايين، بيروت 1974.
- في الأدب والنقد، د. محمد مندور، دار نهضة مصر 1973.
- قراءة جديدة لتراثنا النقدي، د.عزالدين اسماعيل وآخرون، النادي الأدبي بجدة/ المملكة العربية السعودية 1990.
- قضية الشعر الجديد، د.محمد النويهي، ط2 القاهرة 1971.
- المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راى، ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد 1987.
- مقالات نقدية، د. محمود الربيعي، مكتبة الشباب، القاهرة 1978.
- مقدمة في النقد الأدبي، د.علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1979.
- مقدمة في النقد الأدبي، د.محمد حسن عبدالله، دار البحوث العلمية، الكويت 1974.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الأمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط2 دار المعارف بمصر 1972.
- موسيقى الشعر العربي، د.شكري عياد، دار المعرفة القاهرة 1968.
- نظرية الأدب، أوستن وراين، رنيه ويلك، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق 1972.

- نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، محي الدين صبحي، الدار العربية للكتاب 1984.
- النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، د. أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972.
- النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري، د. حماد حسن أبوشاويش، دار إحياء العلوم بيروت 1979.
- النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد، علي يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ط1 مصر 1979.
- النقد والنقاد المعاصرون، د.محمد مندور، دار القلم، بيروت د.ت.

الدوريات

- الخليج الثقافي دولة الامارات العربية المتحدة، عدد 35-36، 1981.
- مجلة شئون أدبية، إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، عدد 10 ربيع 1991.
- مجلة شعر (البيروتية) عدد 6 سنة 1958.
- مجلة الشعر (القاهرية) عدد ابريل 1976.
- مجلة (فصول) القاهرية المجلد الأول العدد الثالث 1980، المجلد الرابع العدد الثالث 1984 - العدد الرابع 1984.
- مجلة الفصول الأربعة (الجماهيرية) العدد 76 فبراير 1994.
- مجلة الفكر العربي عدد خاص عن اللغة العربية، بيروت عدد 60 ابريل - يونيو 1990.
- القبس (الكويتية) عدد 1989/7/17.
- مجلة كلية الأداب جامعة فاروق الأول، عدد 1 سنة 1943.
- مجلة مواقف، العدد 36 شتاء 1990.
- مجلة الناقد، العدد الثامن، 1989.
- الهلال، مجلد 1903/1904.